شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليها

الباحثة/ عائشة بنت عايد مفلح الهذلي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

فإن أعداء الإسلام قد حرصوا على إطفاء نور الإسلام بكل ما يملكون من قوة وسلكوا في سبيل ذلك مسالك شتى، فمنذ أن أشرقت أنواره هرع أعداؤه يسعون لإطفاء نوره، واضطهاد أتباعه، والتضييق عليهم، فلما رأوا نوره يملأ الآفاق، ورقعته تشمل الأصقاع، ويأسووا من القضاء عليه بالقوة، دسوا له الدسائس ومكروا به الليل والنهار، فراحوا يصوبون سهامهم جاهدين إلى الطعن في الإسلام بمصدريه القرآن والسنة على حد سواء، وبذلوا من الأموال والجهود في سبيل ذلك ما وصفه الله بقوله:

(*) باحثة دكتوراه - تخصص الحديث وعلومه – المملكة العربية السعودية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(١).

والمستشرقون من أولئك الأعداء الذين ما افتلوا يلصقون الشبه بالإسلام وأهله؛ تشويها لصورته النضرة بتحريف نصوص الوحي تارة، وتفسيرها وفق أهوائهم المضلة تارة أخرى.

لكن الله سخر لنصرة دينه رجالاً حملوا مشاعل الهداية في طريق البشرية سيرًا على طريق أسلافهم، فكشفوا زيفهم، وأبطلوا حججهم.

وسأعرض في هذا البحث بعض شبهات المستشرقين التي دسوها في كتبهم.

خطة البحث:

المقدمة.

تمهيد: وبينت فيه باختصار تعريف السنة، لغة وعند المحدثين، ومكانتها.

الفصل الأول: الاستشراق مفهومه ونشأته ودوافعه.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق، ونشأته.

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق، ووسائله.

المبحث الثالث: آثار الاستشراق على البلاد الإسلامية.

المبحث الرابع: أشهر المستشرقين.

الفصل الثاني: شبهات المستشرقين حول السنة، والرد عليها.

المبحث الأول: شبهات المستشرقين حول شخصية النبي ﷺ.

---

(١) {الأنفال/٣٦}.

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول صحة الحديث النبوي وأثر الوضع فيه.

المبحث الثالث: شبهات المستشرقين وطعنهم في حملة السنة.

المبحث الرابع: شبهات المستشرقين حول التدوين.

المبحث الخامس: شبهات المستشرقين حول منهجية النقد عند المحدثين.

منهج البحث:

- ترجمت للأعلام غير المشهورين.
- خرجت الأحاديث والآثار، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بالعزو عليهما، وإلا نقلت أقوال الأئمة، فإن لم أجد اجتهدت وحكمت على الإسناد بنفسي.

فإن لم أجد الحديث في الصحيحين فمن باقي الكتب التسعة، وإلا فمن باقي الكتب التسعة، فإن لم يكن فيها فمن باقي كتب السنة.

- لم أذكر جميع الشبهات، بل اكتفيت ببعضها، وربما وقفت على كتب تعرض لشبهات مضمونها واحد، تذكرها على أنها شبهات متعددة، ألفت بينها وجعلتها فكرة واحدة تحت شبهة واحدة.
- إذا ورد تحت موضوع معين أكثر من شبهة اخترت أجمعها.
- نقلت أقوال المستشرقين من كتبهم، ومن لم أجد كتابه، عزوت إلى من نقل عنه.

* * *

تمهيد

السنة لغة:

تطلق السنة في اللغة على معان منها:

السنة: الطريقة والسيرة. والسنة: الوجه، يقال: سنن الطريق وسننه أي: جهته. والسنة: الطبيعية[١].

وقال الراغب: "فالسنن جمع سنة، وسنة الوجه طريقته، وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله – تعالى- قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته"[٢].

السنة في الشرع:

قال ابن الأثير: "... وإذا أطلقت في الشرع، فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً، وفعلاً، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي: القرآن، والحديث"[٣].

السنة في اصطلاح المحدثين:

هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة، أم بعدها[٤].

(١) لسان العرب: ١٣/٢٢٠، مادة (سنن).
(٢) المفردات في غريب القرآن: ص٢٤٥.
(٣) النهاية في غريب الأثر: ٢/١٠٢٢.
(٤) أصول الحديث: ص١٩.

مكانتها من التشريع:

القرآن والسنة مصدران تشريعيان، متلازمان، لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إليهما، ولا غني لمجتهد، أو عالم عن أحدهما.

فالسنة من حيث وجوب العمل بها، ومن حيث إنها وحي هي بمنزلة القرآن الكريم، وإنما تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار؛ لأنه مقطوع به جملة، وتفصيلاً، والسنة مقطوع بها على الجملة، لا التفصيل[1].

* * *

(١) أصول الحديث: ص٣٥- ٣٦.

الفصل الأول
الاستشراق مفهومه ونشأته ودوافعه

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق، ونشأته.

مفهوم الاستشراق:

الألف والسين والتاء للطلب، أي: طلب الشرق، والمصدر منه استشراق، والمراد طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

الاستشراق: هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) وأمريكيين من دراسات أكاديمية (جامعية) نتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم، أو باللغة العربية من إذاعات، أو تلفاز، أو أفلام سينمائية، أو رسوم متحركة، أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم، كما أن من الاستشراق ما يخفي علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم، ومؤتمراتهم العلنية، أو السرية.

ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط، ورومانيين، وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولابد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنوا كثيرًا من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب، والمناهج

الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء، ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب، والمسلمين إلى اللغات الأوروبية[1].

نشأته:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معينة، أو فترة معينة لنشأة الاستشراق، فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام، ولعل اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة، وقد كان ملكها النجاشي نصرانيًا، وما دار من حديث حول هذا الدين بين البطارقة في مجلسه، وكيف أدرك هذا الملك حقيقة هذا الدين فاعتنقه، وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على هذا الدين حينما بعث الرسول ﷺ رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية، وكان هرقل عظيم الروم أحد هؤلاء الملوك، وكان أبو سفيان في تجارة له إلى الشام، فاستدعاه هرقل، وسأله عن الإسلام، وأظهر هرقل اقتناعه بصدق هذا الدين، وحقيقته، وهناك رأي بأن غزوة مؤته التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق، ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام، والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي، وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين؟ ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين، والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين، وبخاصة أنه بعد هزيمة لويس التاسع، وأسرة في المنصورة، وما تمخض عنه تفكيره من صعوبة هزيمة

(١) انظر: الاستشراق: ص٢- ٦.

المسلمين عسكريًا، فلا بد من التخطيط الفكري بجانب التخطيط الحربي والسياسي مما تمخض عنه بداية الدراسات الاستشراقية.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيننا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية، والعبرية، والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل: باريس، وأكسفورد وغيرهما.

وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكام النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية، ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي.

ولا شك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنويًا، ومئات الدوريات، ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعًا- كما يقول الدكتور على النملة-: "من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها"، فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم، ولاسيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية، والعلمية، وأصبح فيها العديد من الجامعات، ومراكز البحوث، وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث "بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية، وأخذت تصدر كتابًا بعد الآخر.." ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل

كرسي أكسفورد عام ١٦٣٨ وكامبريدج عام ١٦٣٢[١].

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق، ووسائله:

١) الدافع الديني:

إن الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين هو الدافع الديني، فقد كان همهم الوحيد هو الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه؛ ليثبتوا لمن يخضع لزعامتهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم سفاكو دماء ليس لديهم سمو روحي، وخلقي[٢].

٢) الدافع الاستعماري:

ما إن انتهت الحروب الصليبية حتى اتجه الغربيون إلى دراسة شؤون تلك البلاد عقيدة، وعادات، وأخلاقًا، وتراثًا؛ ليتعرفوا على مواطن الضعف، فيغتنموه.

ولما تم لهم الاستيلاء العسكري كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية، والمعنوية في نفوس الشعوب التي استولوا عليها، وذلك يشككهم في عدم جدوى ما لديهم من تراث، وقيم إنسانية، فتفتقد الثقة بأنفسهم، فيرتمون في أحضان الغرب، ويخضعون لحضارتهم، وثقافتهم، ويتم لهم ما أرادو[٣].

٣) الدافع التجاري:

رغب الغربيون في التعامل مع دول الشرق؛ لترويج بضائعهم؛ وشراء الموارد الطبيعية من تلك الدول بأبخس الأثمان، ولقتل صناعاتها المحلية التي كان لها مصانع قائمة

(١) انظر: الاستشراق: ص٨- ١٠.
(٢) انظر: الاستشراق والمستشرقون: ص٢٠.
(٣) انظر: الاستشراق والمستشرقون: ٢١- ٢٢.

مزدهرة في مختلف بلاد العرب، والمسلمين[١].

٤) الدافع السياسي:

بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية جعل في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر، والسياسة؛ ليتعرف على أفكارهم، ويبث فيهم ما تريده دولته من الدسائس؛ للتفرقة بين الدول العربية والإسلامية بعد أن درسوا نفسيات كثير من المسئولين في تلك الدول، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم[٢].

٥) الدافع العلمي:

هناك عدد من المستشرقين أقبلوا على حضارات الأمم وأدبائها، وثقافتها، ولغاتها، بدافع حب الاطلاع، وهم عد قليل، وهؤلاء الباحثون لم يكونوا يتعمدون الدس، والتحريف في أبحاثها، فجاءت أقرب إلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الغالبة بل منهم اهتدى إلى الإسلام[٣].

وسائل الاستشراق[٤]:

لم يترك المستشرقون وسيلة لبث آرائهم، ونشر أبحاثهم إلا سلكوها ومنها:

- تأليف الكتب، والبحوث، والموسوعات، ونحوها في شتى الموضوعات المتعلقة بالإسلام ورسوله، وأكثرها مليئة بالتحريف المتعمد في نقل النصوص، أو بترها، وفي فهم

(١) انظر: السابق: ٢٣.
(٢) انظر: الاستشراق والمستشرق: ٢٣- ٢٤.
(٣) انظر: السابق: ٢٤- ٢٥.
(٤) انظر: السابق: ص٣٣- ٣٥.

الوقائع التاريخية.

- إرسال المبشرين إلى العالم الإسلامي؛ لمزاولة الأعمال الإنسانية في الظاهر في المستشفيات والمدارس، والجمعيات، وغيرها.
- عقد المؤتمرات لإحكام خطهم في الحقيقة، ولبحوث عامة في الظاهر.
- وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبدلاه وشعوبه.

المبحث الثالث: آثار الاستشراق على البلاد الإسلامية

وفيما يأتي أبرز هذا الآثار:

- الآثار العقدية:

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين، والعلماء والسياسيين، وحتى الناس العاديين، أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة، أو ما يطلق عليه العلمانية.

فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله ﷻ، وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق ﷻ، والكون، والإنسان.

ومن تأثير الاستشراق في المجال العقدي الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب والسنة فتجدهم يجعلون لهم مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية، ويجذبون أبناء المسلمين لمثل هذه الاهتمامات.

كما أن من اهتمامات الاستشراق التي تدعو إلى الشكوك في نياتهم الاهتمام بالفرق المنحرفة كالرافضة والإسماعيلية وغيرها من الفرق، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام.

- الآثار الاجتماعية:

تعد الآثار الاجتماعية من أطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصًا على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية، ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح، وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية بأن المجتمعات الغربية، وما ساد فيها من فلسفات، ونظريات هي المجتمعات الأرقى في العالم. وقد تمكن الاحتلال بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي، ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام.

وقد تعاون الاستشراق والاحتلال على إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضًا بتقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر، والتركيز على فرنسة البربر، وتعليمهم اللغة الفرنسية، ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم، وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية، فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة.

- الآثار الثقافية والفكرية:

حقق الاستشراق نجاحًا كبيرًا في التأثير في الحياة الثقافية، والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريمة، والسنة المطهرة، وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهمًا جيدًا، وعاش المسلمون على هدى من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري، والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها، أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى، أو في منهجية فهم هذه المصادر، ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ، أو علم الاجتماع، أو علم النفس، أو علم الإنسان، أو غيرها من العلوم.

- الآثار السياسية والاقتصادية:

يعم الغربيون أن الديمقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة مسبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي.

وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاحتلال الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة، وما زالت هذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت.

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي

الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي.

وكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي والقسم الآخر في الفلك الرأسمالي[١].

المبحث الثالث: أشهر المستشرقين

- جولد تسيهر:

إجناس كولد تسهر، مستشرق مجري موسوي يلفظ اسمه بالألمانية: إجناتس جولد تسيهر، رحل إلى سورية سنة ١٨٧٣م، وانتقل إلى فلسطين، فمصر، ثم عين أستاذًا في جامعة بودابست، له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية، في الإسلام، والفقه الإسلامي، والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية، ومما نشره بالعربية (ديوان الخطيئة)، وجزء كبير من كتاب (فصائح الباطنية)، مات سنة ١٩٢١م[٢].

- جوزيف شاخت:

جوزيف شاخت: مستشرق ألماني، متخصص في الفقه الإسلامي، ودرس اللغات الشرقية، حتى أصبح أستاذ كرسي في عام ١٩٢٩م، وقد انتدب للتدريس في الجامعة المصرية في القاهرة لتدريس فقه اللغة العربية والسرياني، متعصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي، وأصوله من محرري دائرة المعارف. الإسلامية، ودوائره معارف العلوم الاجتماعية، وأشهر كتبه: أصول الفقه الإسلامي،

(١) الاستشراق لـ د. مازن: ص١٥- ٢٢.
(٢) الأعلام: ٨٤/١، وموسوعة المستشرقين: ص١٩٧.

مات سنة ١٩٩٦م[١].

- جان سوفاجيه:

هو جان سوفاجيه، مستشرق، فرنسي، عني بالتاريخ والآثار الإسلامية، وعين مديرًا لدراسات تاريخ الشرق الإسلامي في مدرسة (الدراسات العليا)، وأستاذًا في مدرسة اللغات الشرقية، فأستاذًا للفن الإسلامي بمدرسة (اللوفر) سنة ١٩٤١م – ١٩٤٤م، ومحاضرًا في اللغة العربية بجامعة باريس، وقام برحلات إلى تركيا، وفلسطين، والعراق، وإيران، وله تأليف وبحوث كثيرة بالفرنسية، منها (الآثار التاريخية في دمشق)، و(كتابات تدمر) والآثار الإسلامية في حلب)، مات سنة ١٣٦٩هـ[٢].

- الأمير ليوني كايتاني:

مستشرق، إيطالي، وأمير من آل كيتاني، وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديث، تعلم العربية والفارسية، زاز كثير من البلاد الشرقية منها الهند، وإيران، ومصر وسوريا، ولبنان، من مؤلفاته: حوليات الإسلام، والتاريخ الإسلامي، مات سنة ١٩٣٥م[٣].

- ماكدونالد:

هو: دانكن بلاك ماكدانلد، مستشرق أميركي، منم أعضاء المجمع العلمي العربي، ومن أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة، من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية، من مؤلفاته: تطور علم الكلام،

(١) الاستشراق والمستشرقون: ص٤٩، وموسوعة المستشرقين: ص٣٦٦.
(٢) الأعلام: ١٠٨/٢، وموسوعة المستشرقين: ص٣٥٦.
(٣) موسوعة المستشرقين: ٤٩٣- ٤٩٥.

والفقه الدستورية في الإسلام، أوجه الإسلام، مات سنة ١٩٤٣م[١].

- جوينبل:

هو تيودور وليم جوينبل، مستشرق هولندي، عين مبشرا بروتستانتيا، ثم صار أستاذا في جامعة ليدن، نشر (مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع)، وفي عام ١٨٤٦م أصدر شروحًا في تاريخ القبيلة السامرية، مات سنة ١٨٦١م[٢].

* * *

(١) انظر: الاستشراق والمستشرقون: ٤٤، الأعلام: ٢/٣٣٠.
(٢) انظر: الأعلام: ٢/٩٥، وموسوعة المستشرقين: ص٦٣٣.

الفصل الثاني
شبهات المستشرقين حول السنة، والرد عليها

المبحث الأول: شبهات المستشرقين حول شخصية النبي ﷺ

لم يقتصر المستشرقون على الطعن في السنة، بل تطالوا إلى النيل من شخصه الكريم فرموه بتهم جائزة، وألصقوا به الأخلاق الذميمة، ونسبوا له أفعالاً تنافي الفضيلة، كل ذلك من أجل أن يقولوا للناس كيف يصلح من هذه حالة، وهذه أخلاقه أن يكون موضعًا للإصفاء؟! إذ النبوة مقام سامي ودرجة رفيعة لا ينالها إلا الأصفياء الخلص من البشر، ومحمد ليس كذلك، فلا يحق له أن يدعي هذه المنزلة العظمية هكذا زعموا، وبئس ما زعموا[1].

ومن هذه الافتراءات:

الشبهة الأولى:

ميله إلى النساء وانشغاله بهن، وقد تزوج اثنتي عشرة امرأة منهن من تزوجها بدافع الحب، ومنهن من كان زواجه منها لغرض سياسي، أو اجتماعي، وقد روي عنه أنه قال: (**إنما حبب إلى من دنياكم النساء والطيب**)[2]، وبعد ذلك أضيف (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)[3].

(١) موقف المدرسة العقلية: ٥٣٣/١، بتصرف.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء: (٦١/٧ برقم (٣٩٣٩)، وبرقم (٣٩٤٠)، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي: ٥٧/٣، برقم (٣٩٤٩).

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامي: ص٦٧، وتاريخ العرب: ص١٦٦، والعقيدة والشريعة: ص١٤٣.

الجواب عن الشبهة:

هذه الشبهة هي مجرد افتراء على رسول الله ﷺ الذي ابتعثه الله مربيًا، وهاديًا إلى أحسن الأخلاق، وأقومها سبيلاً، فلم يتزوج بنسائه بدافع هوى أو غرام، ولا مجرد شهوة ولا حب، وهو الطاهر العفيف، بل راعي كما قال الشيخ محمد رشيد رضا المصلحة في اختيار كل زوجة من زوجاته رضي الله عنهن في التشريع، والمودة، والتأليف، وكفالة الأرامل والأيتام، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم، وعلم أتباعه احترام النساء، والعدل بينهم، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين، حتى يعلمن نساءهم من الأحكام ما يليق بهن مما ينبغي أن يتعلمه النساء دون الرجال[1].

ومن الأدلة التي ترد هذا الاتهام[2]:

أ) أنه تزوج، وهو في عنفوان شبابه من خديجة – رضي الله عنها–، وهي في الأربعين من عمرها، ولم يتزوج عليها حتى توفاها الله، وقد بلغ الخمسين من عمره، فلم يكن إلى هذا العمر رجلاً شهوانيًا لاكتفائه بامرأة واحدة، فمن باب أولى ألا يكون كذلك، وقد جاوز سن الشباب والفتوة.

ب) لم يتزوج بكرًا منهن إلا عائشة– رضي الله عنها–، وأما ما سواها من نسائه فكن ثيبات، ومنهن من كان يصحبها أبناؤها، وأمثال هؤلاء تقل الرغبة فيهن.

ج) أنه تزوج هذا العدد من نسائه لحكم ومصالح اقتضتها دعوة الإسلام، من إيجاد روابط أسرية، وتأليف للقلوب، وإحسان إلى الأرامل، وغير ذلك من المصالح التي

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١/٥٢٥– ٥٢٦.
(٢) السابق: ١/٥٢٥– ٥٢٩.

ترتبط بزواجه من كل واحدة منهن.

د) أن النبي ﷺ بشر كغيره يتصف بصفاتهم، فهو يحب ويبغض ويرغب ويكره، قال- تعالى-: (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**)[1].

ومع ذلك لم يكن يتصرف في كل أموره، بل كان يسير وفق أوامر ربه- سبحانه- وتوجيهاته، كحادثة زواجه من زينب بنت جحش- رضي الله عنها-، فقد تم بأمر من الله.

هـ) أن النبي ﷺ كان مشغولاً بنشر الإسلام، منذ أن بعث إلى أن توفي - صلى الله عليه وسلم-، وكان معلمًا لأصحابه، قاضيًا بينهم، وكان مجاهدًا لنفسه ملازمًا العبادة ربه، وكان يقوم حتى تنفطر قدماه، فأين الفراغ الذي يقضيه في شهواته، وملذاته.

و) إن تعدد الزوجات ليس مما يطعن به الأنبياء، ولا يعد قادحًا فيهم، ولو كان قادحًا في نبوة رسول الله ﷺ لقدح في نبوة الأنبياء السابقين، فقد نصت كتب العهد القديم التي يؤمن بها أولئك المستشرقون على أن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة ثم هاجر في حياة الأولى، ويعقوب عليه السلام قد تزوج بأربع نسوة، وسليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة.

فلم يكن فعل الرسول ﷺ يدعا من الرسل، بالإضافة إلى أن تعدد الزوجات كان أمرًا مألوفًا عند العرب.

وأما حديث: (**حبب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في**

(١) {الكهف/١١٠} .

الصلاة)، فقد زعم بعض المستشرقين أن قوله: (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**) زيادة موضوعة زيدت في الحديث فيما بعد.

فهم يقولون الحديث يدل على انشغاله بالنساء.

ويجاب عنه بما يلي:

١) أن الحديث صحيح بزيادته، وقد صححه جماعة من العلماء كالحاكم فقال بعد سياقه للحديث: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي[١].

٢) وقال المناوي: قال الحافظ العراقي: إسناده جيد، وقال ابن حجر (حسن)[٢]، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: صحيح[٣].

٣) ليس في الحديث دلالة على انشغال النبي ﷺ بالنساء حتى يكون موضع اتهام خصومه.

قال المناوي: إنه لم يضفها لنفسه فما قال أحب تحقيرًا لأمرها؛ لأنه أبغض الناس فيها لا لأنها ليست من دنياه بل من آخرته كما ظن إذ كل مباح دنيوي ينقلب طاعة بالنية فلم يبق لتخصيصه حينئذ وجه ولم يقل من هذه الدنيا؛ لأن كل واحد منهم ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه وأما هو فلم يلتفت إلا إلى ما ترتب عليه مهم ديني فحبب إليه (النساء) والإكثار منهن لنقل ما بطن من الشريعة مما يستحيا من ذكره من الرجال

(١) المستدرك: ٢/٢٦٧٦٠.
(٢) فيض القدير: ٣/٣٧١.
(٣) صحيح الجامع: ٣/٨٧.

ولأجل كثرة سواد المسلمين ومباهاته بهم يوم القيامة[1].

الشبهة الثانية:

زعم المستشرقون أن النبي ﷺ كان يسير وفقًا لهواة ومزاجه لا وحي يرشده، ولا دين يقوده، وإنما الهوى هو الذي يسيره كيف يشاء لقول جلاوور في كتابه (تقدم التبشير العلمي) كان محمد حاكمًا مطلقًا، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويفعل ما يشاء فقد كان عازمًا على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه، أما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديم، والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض إتباعهم[2].

الجواب عن الشبهة:

١- لقد عصم الله رسوله ﷺ عن إتباع الهوى، ومدحه بذلك في قرآنه، فهو لا يقول إلا حقًا، ولا يفعل إلا حقًا، قال- تعالى-: **(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ)**[3].

قال ابن كثير: "وقوله تعالى: **(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)** هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه بار راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه قصدًا إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. وعن علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو- صلوات الله وسلامه عليه- وما بعثه به

(١) فيض القدير: ٣/٣٧١.
(٢) الإسلام والمستشرقون: ص٢٤٥.
(٣) النجم: ١-٤.

من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال- تعالى-: (**وما ينطق عن الهوى**) أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض إن هو إلا وحي يوحي. أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفورًا من غير زيادة ولا نقصان[١].

وفي الحقيقة أن اليهود والنصارى هم الذين انطمست بصائرهم، وضلت عقولهم، واتبعوا أهواءهم حتى حذر الله رسول الله ﷺ من سلوك مسلكهم، وإتباع أهواءهم، فقال له: (**وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)[٢]. وأي هوى أعظم من معرفة الحق، ثم العدول عنه، أو عبادة الله على جهل وضلال؟ وتلك سمات أهل الكتابيين التي وسمهم الله بها في وقوله: (**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**)[٣].

إن أعداء الإسلام من المستشرقين لا يرعون عن إلحاق كل ذم وعيب بهذا الدين ورسوله ﷺ، وهل رميهم رسول الله ﷺ بما رموه به وهو برئ منه إلا من الهوى، والحقد ملأ قلوبهم، فكانوا بذلك أولى بالذم، والعيب وصح فيهم قول المثل (رمتني

(١) تفسير العظيم: ٤٤٢/٧.
(٢) تفسير العظيم: ٤٤٢/٧.
(٣) {الفاتحة/٧}.

بدائها وانسلت)[1].

ثم إن رسول الله ﷺ مبلغ عن ربه ما أرسله به والرسول، والمبلغ لا يزيد، ولا ينقص فيما أرسله به قال- تعالى-: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)**[2].

فهذا العقاب الشديد لمن يتقول على الله ما لم يقله ورسول الله ﷺ أخشى الخلق لله، وأتقاهم له، فلا يمكن أن يقول غير ما أرسل به.

ثم أين الدليل على ما زعمه جلاوور؟؟ كان عليه أن يمثل لنا بمثال يثبت به ما قاله، وأني له ذلك؟ إنه لا يملك ما يدلل به على باطله، فعاد قوله عليه؛ لأن من الهوي أن يطلق الإنسان الحكم قبل إيجاد الدليل، وقد فعل جلاوور، فكان هو صاحب الهوى إذن!![3].

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول صحة الحديث وأثر الوضع فيه.

لقد كان الغرض من إنكار المستشرقين لنبوة الرسول ﷺ هو طعنهم في أحاديثه؛ لأنهم نظروا إلى هذه الأحاديث الكثيرة والميراث العظيم الذي تركه الرسول ﷺ، فأرادوا قطع الصلة بين تلك الأحاديث، وبين النبي ﷺ، فأنكروا أن يكون محمد الأمي ﷺ مصدرًا لكل ذلك[4].

---

(١) مثل يضرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه.
مجمع الأمثال: ٢/٢٣، وجمهرة الأمثال: ١/٤٧٥- ٤٧٦.
(٢) الحاقة: ٤٤- ٤٧.
(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ب١/٥٤٩- ٥٥٢.
(٤) انظر: الاستشراق والمستشرقون، للسباعي: ص٢٢.

الشبهة الأولى:

إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي، والاجتماعي، في القرنين الأول، والثاني، وأنه ليس صحيحًا ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عصر النضوج[(١)].

ومن أمثلة الأحاديث التي جاءت نتيجة للتطور الديني حديث: (**إنما الأعمال بالنيات**) [(٢)].

يقول جولد زيهر: وقد ارتفع شأن هذا الحديث، إلى أن صار فكرة تسطير على كل الأعمال الدينية، يقول الله- تعالى- في الحديث القدسي: (**لاقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم**)، وهو حديث هر صدى لاقتناع المؤمنين بذلك، وعلامة على قيمة أعمالهم الديني[(٣)].

الجواب عن الشبهة:

لقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل على يديه بنيان الإسلام، وتم أمره، ومن أقوى الأدلة على ذلك، قوله تعالى: في آخر ما أنزل: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي**

(١) انظر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي: ص١٢٧، والسنة قبل التدوين: ص٢٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٣/١ برقم (١)، وبرقم (٥٤)، وبرقم (٢٣٩٢)، وبرقم (٣٦٨٥)، وبرقم (٤٧٨٣)، وبرقم (٦٣١)، وبرقم (٦٥٥٣)، ومسلم في صحيحة، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنية" وأنه يدخل فيه الغزو غيره من الأعمال: ٤٨/٦ برقم (٥٠٣٦).

(٣) العقيدة والشريعة: ص٥٣.

مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1].

وقال ﷺ لأصحابه؛ حاثًا لهم على التمسك بسنته، والحفاظ عليها: (**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي..**)[2][3].

ومن أوضح ما يدل على نضوج الإسلام في عصره الأول، أن عمر رضي الله عن ساس مملكتي الفرس، والروم بأحسن مما كان يسوسهما ملوكهما، وهما في الرقي والحضارة منهما، فلو كان الإسلام قاصرًا في ذلك الوقت، لم يكتمل نضجه، لما استطاع الفاروق أن يقيم العدل، والأمن، والسعادة في ربوع تلك البلاد الواسعة، أمنا لم يذقه شعوبها من قبل، وعدلاً لم تنعم به إلا في ظل الإسلام[4].

وأما حديث: (**إنما الأعمال بالنيات**)[5] وادعاء زيهر بأنه ظهر أخيرًا نتيجة لتطور الإسلام.

فيجاب عنه:

بأن هذا الحديث صحيح أخرجه البخاري، ومسلم[6].

وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، وقال أبو عبد الله: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع، وأغني، وأكثر فائدة من هذا الحديث[7].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/١٧٢ برقم (٣١٩)، فإن الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير: ١٢/١٩٥ برقم (٥٢٤٨).

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٢/٤٣.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع: ص١٩٦.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) انظر: فتح الباري: ١/١١.

وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن، والسنة في معنى هذا الحديث، كقوله- تعالى-: **(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)**[(١)].

وقوله ﷺ في حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **(يغزو جيش الكعبة.. الحديث، وفيه (يخسف بأولهم وآخرهم. ثم يبعثون على نياتهم)** [(٢)].

وأما قوله: **(لاقوني بنياتكم)** خلاف ما دل عليه الحديث، فإن الحديث لم ينف الأعمال، بل شرط لصحتها النية، إذ العمل مطلوب شرعًا، قال- تعالى-: **(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)**[(٣)]، ولقد أتى زيهر من العجمة في قوله هذا – إن أعرضنا عن سوء القصد، وإضافته هذا القول إلى الله – ضلال بعيد[(٤)].

الشبهة الثانية:

أن الحديث تكون من مجموع عقائد، وأديان، وعادات سابقة.

زعم جولد زيهر أن الحديث ما هو إلا مجموع عقائد، وأديان، وعادات، وأفكار سابقة، وما جاء به النبي ﷺ ما هو إلا مزيج من العقائد والعبادات الفارسية واليونانية والبابلية، وشرائع العرب في الجاهلية، وغير ذلك، وليس هو وحي يجب اتباعه، وتقديسه[(٥)].

---

(١) البينة: ٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية: ٧٤٦/٢ برقم (٢٠١٢).

(٣) الزخرف: ٧٢.

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٤٥/٢- ٤٩.

(٥) انظر: العقيدة والشريعة: ص٥١، ٥٢.

الجواب عن الشبهة:

إن الله- تعالى- بعث نبيه محمدًا ﷺ على فتر من الرسل حين انحراف الناس عن دين الله تعالى، واختلفت عقيدة الإيمان بالله في نفوس البشر، فالإله في التوراة له تصور خاص يتعلق ببني إسرائيل، وأنبيائهم، وفي الإنجيل فكرة التثليث التي تنافي الوحدانية، والبيئة التي نشأ فيها الرسول ﷺ تعيد الأصنام والأوثان.

أما الهنود فلهم أديان كثيرة، وعبادات مختلفة، تجمع بين الوثنية الساذجة، والآراء الفلسفية.

والمجوسية يثبتون ألوهية النور، والظلمة، فالنور للخير، والظلمة للشر، واليونانيون والبابليون، ينكرون النبوات، وغير ذلك، فكيف يكون ما جاء به النبي ﷺ من الهدى، والخير، لفيف من هذه العقائد المتناقضة.

الشبهة الثالثة:.

هناك أمور تدل على الوضع في الحديث – كما يزعمون- منها:

أ) الأحاديث التي تدل على الأمور الغيبية:

يقول جوينبل: هناك قسم من هذه الأحاديث التنبئية وضعت في صورة أقوال نسبت إلى محمد ﷺ تتعلق بفضائل أماكن متعددة لم يفتحها المسلمون إلا في عصر متأخر(١).

الجواب عن الشبهة:

اختص الله تعالى بعلم الغيب، و لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، قال- تعالى-:

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١/٥١٣- ٥١٤.

(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَـرُونَ)[١]، لكنه- سبحانه- يطلع رسله على ما يشاء من غيبة، حتى يصدقهم أقوامهم، وأحاديث الغيب المنقولة عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة، تبلغ درجة التواتر، والمسلمون لم يتلقوا تلك الأحاديث جزافًا، وإنما فحصوها فحصًا دقيقًا، وعرفوا الصحيح من السقيم، وما تبين وضعه دونوه في كتب الموضوعات[٢].

ب) الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية:

يرى ماكدونلد أن الأحاديث لا تعتبر أساسًا يمكننا أن نبني عليه الحقائق التاريخية[٣].

ويقول جوينبل: مع مضي الزمن لم يجرؤ أحد على الشك في صحة هذه الأحاديث، ولم يصح في الإمكان اعتبار رجال كأبي هريرة رضي الله عنه من الكاذبين، بل سُلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية، شديدة الوضوح، ولم يرفض شيء منها إلا ما يتعارض مع ما وقع الإجماع على صحته[٤].

الجواب عن الشبهة:

الذي يطّلع في دواوين السنة، وخاصة الصحيحين، يد حشدًا ضخمًا من الأحاديث النبوية التي تشير إلى وقائع، وأحداث تاريخية ماضية، كقصص الأنبياء، والأمم السابقة، وبدء الخلق كما أن هنالك كثيرًا من الأحاديث التي تدل على أمور في المستقبل،

(١) انظر: دارة المعارف الإسلامية: ٣٣٣/٧.
(٢) النحل: ٥٦.
(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٥٧٣/٢.
(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٣٣٧/٧.

كأحاديث الفتن وغيرها.

وكثر من هذه الأحاديث صحيح، وثابت، تلقته الأمة بالقبول، وصدقت بما جاء فيه، وآمنت بكل ذلك، لأن الذي نطق بها رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى **(وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى. إنْ هَوَ إلاَّ وَحْىٌ يُوحى)**[1].

وقد اعتمد علماء الأمة على تلك الأحاديث في بيان الحقائق التاريخية، وإثباتها، بل تعتبر عندهم من أقوى الأدلة بعد القرآن الكريم؛ ولذلك ملئت بها كتب السير، والتاريخ وحكوها في كثير من أخبار أهل الكتاب، فقبلوا منها ما أيدته الأحاديث النبوية، وردوا منها ما خالفته، وتوقفوا فيما لم يرد شاهد من القرآن، أو السنة عليه.

فقول ماكونالد: إن الأحاديث لا تُبني عليها الحقائق التاريخية، وإنما سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية، قول متهافت سار ركب أهل الإسلام على خلافه، وقد كان أصحابه – صلى الله عليه وسلم– يستندون في ذكر الحقائق التاريخية، وتصويبها على ما جاء في كتاب الله، وما نص عليه رسول الله ﷺ.

فق روى البخاري بسنده إلى سعيد بن جبير قال: قلت: لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: (**أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل..**) الحديث[2].

---

(١) النجم: ٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: ١٢٤٦/٣ برقم (٣٢٢٠)، وبرقم (٤٤٤٨)، ومسلم في صحيحة، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام: ١٠٣/٧ برقم (٦٣١٣).

فقد استدل ابن عباس- رضي الله عنهما- على صدق الخبر، وحقيقته بحديث النبي ﷺ، وكذَّب بذلك نوفا، وتلك حقيقة تاريخية، دل عليها الحديث.

بل كانوا يلجئون إلى الأحاديث في فض النـــزاع إذا اختلفوا في حقيقة تاريخيـــة، كما يلجئون إليها في الأحكام.

فعن ابن عباس — رضي الله عنهما- أنه تماري هو، والحر، بن قـــيس الفـــزاري في صاحب موسى قال ابن عباس- رضي الله عنهما- هو خضر فمر بهما أبي بن كعـــب فدعاه ابن عباس- رضي الله عنهما- فقال إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صـــاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله ﷺيذكر شأنه ؟ قـــال نعـــم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل**.. فذكر الحديث، وبه (**بلي عبدنا خضر**) [(١)].

وأما زعم جوينبل أنه سُلّم على وجه علم بصحة كثير من الأحاديث التي تتضـــمن أخطاء تاريخية، شديدة الوضوح، ولم يرفض شيء منها، إلا ما كان يتعارض مع مـــا وقع الإجماع على صحته، فزعم يحتاج إلى ما يسنده به، ولن يجد لذلك سبيلاً، فـــأين هذه الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح؟! كان عليه أن يورد مثالاً واحدًا لنناقشه فيه، ولكنه لم يفعل، فدل ذلك على بطلان دعواه.

ثم الحديث حجة بنفسه في جميع أمور الدين لا يحتاج إلى ما يسنده من إجمـــاع أو غيره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مـــع موســـى عليهمـــا الســـلام: ١٢٤٦/٣ برقم (٣٢١٩)، وبرقم (٧٤)، وبرقم (٧٨)، وبرقم (٧٠٤٠)، وسلم في صـــحيحة، كتـــاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام: ١٠٧/٧ برقم (٦٣١٨).

ولا يمكن أن ننكر أن هناك أحاديث موضوعة، تحمل بين طياتها أخطاء تاريخية، ولكن ليس عليها الاعتماد، وقد كشف عن حالها نقاد الأحاديث فهي مدونة معلومة[1].

ج) الأحاديث المتناقضة:

يقول جوينبل: هناك جملة من الأحاديث المتناقضة في موضوع بعينه، وسبب المعارضة زعمه هو الهوى، مع أن تلك الأحاديث قد سُلِّم بصحتها، وذكرت ضمن الأحاديث الصحيحة، التي تمد المؤرخ بدليل لا يقوم على التطور الداخلي للإسلام، ويمثل ماكدونالد على الأحاديث المتناقضة بأن هناك أحاديث تنص صراحة على أن محمدًا ﷺ كان لا يرضى عن الجدل في الدين، بينما نجد أحاديث أخرى تصوره مقبلاً على الجدل إقبالاً شديدًا، وكلا النوعين مشكوك فيه على حد سواء، وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث، قد وضعه الذين ظلوا فترة طويلة، يرفضون تحكيم العقل في هذه الأمور، ويقنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل، بقول: وكان من جراء الزيادات في الحديث، أن اشتد التناقض في صفات الله؛ ولهذا نجد حديثًا يكثر وروده، وهو: (**إن رحمتي تغلب غضبي**)[2]، ونجد حديث: (**هؤلاء للجنة، ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي**)[3][4].

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٢/٩٧- ٩٨.

(٢) اخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التوحيد، ج٦/٢٦٩٤ برقم (٦٩٦٩)، ومسلم في صحيحة بكتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالي وأنها سبق.
ت غضبه: ٨/٩٥ برقم (٧١٤٥)، وبرقم (٧١٤٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحة، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها: ٢/٥٠ برقم (٣٣٨).

(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٧/٣٣٦- ٢٠٣٣٧/ ٥٧٠- ٥٧١.

الجواب عن الشبهة:

من المعلوم الراسخ في نفوس المسلمين أنه لا يوجد هناك أدنى تناقض بين نصوص الوحي، من كتاب الله، وما صح عن رسول الله ﷺ، وما وجد من أحاديث ظاهرها التعارض، فإن العلماء قد أزالوا ذلك التعارض الظاهري، ووفقوا بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض، بطرق معروفة عندهم، فما كان سببه الوضع بينوه أيضًا.

وكون أهل الأهواء، والبدع، وأصحاب الخلافات العقائدية، والسياسية، وضعوا أحاديث للنيل من بعضهم بعضًا أدى إلى وقوع التنازع، والاختلاف بينهم، لا يضرُّ الأحاديث الصحيحة الثابتة، ولا يحكم بسبب ذلك على كل الأحاديث بهذا الحكم الجائر المنحرف.

ويجاب عن هذا:

أولا: أن ماكدونالد لم يذكر تلك الأحاديث لنرى صدق قوله، وأما إطلاقه الكلام هكذا على عواهنه، فينافي المنهج العلمي الدقيق الذي يدعيه المستشرقون.

ثانيًا: لو سلمنا بوجود تلك الأحاديث فعلاً، ثم سلمنا بصحتها جميعًا لما كان لهذا المعترض فيها حجة يستند إليها.

وبيان ذلك: أن الجدال في دين الله ﷻ منه ما لا يجوز شرعًا، ومنه ما هو جائز، فمثال الجدال الممنوع في دين الله – تعالى- أن يجادل الإنسان بغير علم، ولا عقل صحيح، ولا دليل بين، بل يجادل بالراي، والهوى كما قال- تعالى-: (**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ**

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1].

ومن ذلك أن يجادل الإنسان بالباطل؛ ليرد الحق بالباطل، والشبهة الفاسدة؛ ليرد الحجج الصحيحة، كما قال- سبحانه-: **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**[2].

ومن الجدال الجائز شرعًا ما كان بوجه حسن مؤيد بالبرهان، والدليل مصحوب بالرفق واللين، وحسن الخطاب كما قال- سبحانه-: **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**[3].

وأما قوله: ربما كان النوع الأول- أي: الأحاديث التي تدل على رضا النبي ﷺ بالجدل— قد وضعه الذين ظلوا فترة طويلة يرفضون تحكيم العقل، ويقنعون بالنقل.

فهذا قول باطل، فمن هم هؤلاء الذين يرميهم بالوضع، ويتهمهم به، غير أهل الحديث، وسلف هذه الأمة، والطائفة المنصورة التي لا تقدم على نصوص الوحي عقلاً، ولا رأيًا، مهما كان صاحبه؟! فمثلهم لا يكذب على رسول الله ﷺ، بل هم مَنْ ذبّ الكذب عنه، ونفاه.

ومثل على التناقض بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن الله لما قضى الخلق**

(١) الحج: ٨.
(٢) غافر: ٥٦.
(٣) النحل: ١٢٥.

كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي تغلب غضبي)[١]، وحديث: (**إن الله** ﷻ خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: (**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**) قال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا العمل؟ قال: (**على مواضع القدر**)[٢].

وزعم أنه بسبب هذه الأحاديث الموضوعة المتناقضة اشتد التناقض في صفات الله.

وبحمد الله فإن الحديثين لا تناقض بينهما البتة، وبيان ذلك:

أما الحديث الأول: فهو يبين سعة فضل الله ورحمته على عباده وأن رحمته سابقة لغضبه، ورحمته.

(**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**)[٣].

وأما الحديث الثاني: ففيه أن الله- تعالى- أخذ من الخلق بعلمه، وعدله وحكمته من علم أنه سيطيعه، فأدخله الجنة، وأخذ منهم من علم أنه سيعصيه، ولا يطيعه، وأدخله النار فمن أخذهم للجنة هم الذين يستحقون رحمته الخاصة، ومن أخذهم للنار؛ لما علم من عدم استحقاقهم لذلك.

فأين التناقض المزعوم؟[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) غافر: ٧.

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٢/١٠١- ١٠٨.

المبحث الثالث: شبهات المستشرقين وطعنهم في حملة السنة

الصحابة هم حملة الوحي، والطعن فيهم هو طعن فيما حملوه من العلم، ولم يصلنا الدين إلا عن طريقهم، فإذا اتهمت الواسطة بطل المنقول، وهذا غاية المستشرقين من الطعن في الصحابة ومن جاء بعدهم.

الصحابة ﷺ:

الشبهة الأولى:

يتهم جولد زيهر الصحابة بوضع الحديث، وأن الوضع ليس من صنيع الأجيال المتأخرة، وحدها، بل إن الصحابة – بزعمه- شاركوا في وضع الحديث، كما زعم أن الصحابة يجرح بعضهم بعضًا، وأنهم يعترفون بوضع الحديث[1].

الجواب عن الشبهة:

أن عدالة الصحابة أمر مقطوع به غير قابل للجدول، فقد جاء تعديلهم في القرآن السنة، قال: (**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[2].

وقال – صلى الله عليه وسلم-: (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**)[3]، وقال: (**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا**

(١) انظر: العقيدة والشريعة: ص٤٩، والسنة ومكانتها في التشريع: ص١٩١.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: ٩٣٨/٢ برقم (٢٥٠٩)، وبرقم (٣٤٥١)، وبرقم (٦٠٦٥)، وبرقم (٦٢٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم: ١٨٥/٧ برقم (٦٦٣٥).

نصيفه)[١]، والأمة مجمعة على عدالة الصحابة كلهم، كما قال ابن الصلاح[٢].

فإذا تبين ذلك فإنه لا يتصور أحد في قلبه ذرة من إيمان أن يقدم أحد من الصحابة على وضع حديث، أو يكذب على رسول الله من أجل هدف رخيص، أو غاية هابطه وهم الذين سمعوا قوله ﷺ: (**إن كذبا على ليس ككذب على أحد من كذب علـى متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**)[٣]، فهذا أحدهم يقول: (إذا حدثكم عن رسـول الله ﷺ، فلأن آخر من السماء أحب إلى من أكذب عليه)[٤].

بل ما كانوا يتعاملون بالكذب، ولا يعرفونه بينهم، قال البراء ﷺ: (ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ كانت لنا ضيعة، وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئ، فيحدث الشاهد الغائب)[٥]، وعن أنس ﷺ قال: (والله ما كُنَّا نكذب، ولا ندري ما الكذب)[٦].

وما كانوا يسكتون عن الباطل أبدًا، وقد عرف من سيرتَهم أنهم كانوا من الجرأة في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلاً): ١٣٤٣/٣ برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصـحابة ﷺ: ١٨٨/٧، برقم (٦٦٥١)، برقم (٦٦٥٢).

(٢) انظر: علوم الحديث: ص١٧١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت: ٤٣٤/١، بـرقم (١٢٢٩)، ومسلم في مقدمة صحيحه، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ: ٨/١ برقم (٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبـوة في الإسـلام: ١٣٢١/٣ بـرقم (٣٤١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخارج: ١١٣/٣ برقم (٢٥١١).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢١٦/١ برقم (٤٣٨)، وقال: هذا حـديث صـحيح علـى شـرط الشيخين، و لم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرطهما.

(٦) أخرجه البزار في مسنده: ٣٤٦/٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، بعد أن أورده ٧٥/٥: رواه البـزار ورجاله ثقات.

الحق بمكان، وتغليبهم إياه على أقرب الأقربين، ويستحيل عليهم أن يسكتوا عن كذب فيما بينهم، وهم الذين لا يسكتون عمن يخطئ في الاجتهاد[1].

أبو هريرة ﷺ:

الشبهة الثانية:

يرى جوينبل أن الثقة ببعض الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع في أول الأمر، وكانت الثقة بأبي هريرة ﷺ خاصة محل جدل[2].

ويزعم جولد زيهر: أن ملازمة أبي هريرة ﷺ للنبي ﷺ شجعته على أن يروي من أن الأحاديث ما لم يروه غيره، ويزعم أن عددًا كبيرًا منها منحول، وليس بصحيح، ويشكك في الحديث الذي شكي فيه أبو هريرة ﷺ للنبي ﷺ نسيانه للأحاديث، فأمره أن يبسط ردائه، ويقبضه إليه، فإنه لا ينسي شيئًا، وعدها قصة مختلفة[3].

الجواب عن الشبهة:

أبو هريرة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ، وتلك منزلة في الفضل، والشرف لا يدانيها منزلة، ثم هو سيد الحفاظ الإثبات، بما أمتاز به بقوة الحافظة التي جعلته بحق راوية الإسلام، وحائز قصب السبق بين حملة الحديث، ومن أهم ما تميز به أبو هريرة ﷺ من الصفات ما يأتي:

أ) حرصه على الحديث ورغبته في العلم.

ب) وكثرة حديثه.

---

(١) انظر موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ص٥٦- ٦٢.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٣٣٦/٧

(٣) انظر: السابق: ٤١٨/١-٤١٩.

ج) وقوة حافظته.

وأما زعمه جوينبل أن الثقة بأبي هريرة ﷺ محل جدل، فيجاب عنها بما يلي:

١) أن أبا هريرة ﷺ صحابي، والصحابة كلهم عدول[١].

٢) لم يذكر جوينتبل من يزعم انهم جرحوا أبا هريرة ﷺ، ولعله قصد أعداء الإسلام، وأهل الأهواء، والابتداع من الخوارج، والروافض الذين قدحوا في أبي هريرة، وغيره من فضلاء الصحابة – رضي الله عنهم جميعًا- ولا عبرة بقولهم.

٣) وأما زعمه بأن قصة بسط الرداء التي تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرة أبي هريرة ﷺ مختلقة فيجاب عنها:

– بأن قصة بسط الرداء ثابتة في الصحيحين، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم قال رسول الله ﷺ يومًا "**أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئًا سمعه؟**"، فبسطتُ بردة على حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به[٢].

– وأما العصمة فليست لأحد، وإنما هي خاصة بالرسل فيما يبلغونه عن الله- تعالى-، يقول الإمام مسلم- رحمه الله-: "فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا- وإن كان من أحفظ الناس، وأشدهم توقيًا واتقانًا لما يحفظ وينقل – إلا الغلط والسهو ممكن في حفظه ونقله، فكيف بمن وصفت لك ممن طريقه الغفلة،

(١) سبق بيان عدالتهم: ص٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم: ٥٦/١ برقم (١١٩)، وبرقم (٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فصائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ: ١٦٧/٧ برقم (٦٥٥٥).

والسهولة في ذلك[1].

– وزَعْم زيهر أن روايته ﷺ ضمنها أتفه الأشياء لما امتاز به من روح المزاح مما أدى إلى ظهور كثير من القصص، ونسب ذلك لابن قتيبة، فكان على زيهر أن يبين تلك الأحاديث، ولا يطلق القول جزافًا، وفي أي كتاب ذكره ابن قتيبة من كتبه الكثيرة.

كما أن روح المزاح ليس مطعنًا في الشخص بل هو أمر مألوف[2].

وأما زعمه أن كثرة أحاديثه أثارت الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مما اضطره إلى يدفع عن نفسه تقولهم.

فالجواب عنه:

أن أبا هريرة ﷺ من المكثرين من رواية الحديث، ولما توفي النبي ﷺ وتفرق الصحابة؛ لتبليغ الدين رأى من الواجب عليه أن يبلغ ما سمعه من رسول الله ﷺ؛ خوفًا من مغبة كتمان العلم.

والظاهر أن المعترضين لم يكونوا من الصحابة، بدليل قوله: (**إن إخواني من المهاجرين والأنصار**) فلم يشكوا فيه، ولم يكذبوه، ومعاذ الله أن يكذب أبو هريرة ﷺ، وهو أحد رواة حديث: (**من كذب على متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**)[3].

(١) انظر: التمييز: ٣/١.
(٢) انظر: منهج النقد عند المحدثين: ص١٠٦، ١٢٤، الحديث والمحدثون: ص١٦٦.
(٣) تقدم تخريجه.

وأما زعمه شيربجر[١]: (بأنه المتطرف في الاختلاق ورعا)، واحتجاج زيهر بذلك فيجاب عليه:

بأن شبربجر لا عبرة بقوله، ولا حجة فيه، وشبربجر من المتطرفين في الاختلاق على صحابة رسول الله ﷺ، وهو مضلل كثير التشويش في دين الله، وأما أبو هريرة رضي الله عنه، فهو ورع، تقي، يستحيل أن يكذب على رسول الله ﷺ، فضلاً أن يتطرف في الاختلاق[٢].

– وكذا زعمه أن كثيرًا من الأحاديث نحلت عليه، فهذا أمر لا ينكر، فإن بعض الحديث وضعت، وعزيت إلى بعض الصحابة، ولكن علماء الحديث نقضوا ذلك، وبينوا الموضوع من الصحيح.

وما ضر أبا هريرة رضي الله عنه أن تكون نُحلت عليه أحاديث، وهل يعد طعنًا فيه، بل هو مدح؛ لأن الوضاعين عرفوا منزلته الرفيعة عند الأمة، وشهرته بالحفظ، فألصقوا به ما وعوه؛ حتى يروج ذلك عند الناس، لأن الناس يثقون به[٣].

الشبهة الثالثة:

روى مسلم بسنده إلى ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: (إن رسول الله ﷺ أمر

(١) هو: مستشرق، ولد في التيرول، وتعلم في انسبروك، وفينا، وباريس، ورحل إلى لندن، ونال الدكتوراه في الطب بعد تجنسه بالجنسية البريطانية، ثم أرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبًا، من آثاره: أصول الطب العربي على عهد الخلفاء، مات سنة (١٨٩٣م).
انظر: المستشرقون والحديث النبوي: ٧٢.
(٢) انظر: الحديث والمحدثون: ص١٦٦.
(٣) انظر: الحديث والمحدثون: ص١٦٦، والسنة ومكانتها في التشريع: ص٣١٨.

يقتل كلب زرع، فقال ابن عمر: إن لأبي هريرة زرعًا)[1].

فقد أدعى جولد: أن أبا هريرة ﷺ اختلق هذه الزيادة من عنده لغرض في نفسه؛ لأنه صاحب مصلحته[2].

وقد أجاب الإمام النووي –رحمه الله – عن ذلك بقوله: قال العلماء: ليس هذا توهينا لرواية أبي هريرة ﷺ، ولا شكا فيها، بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه، والعادة أن المبتلى بشيء يتقنه ما لا يتقنه غيره، ويتعرف من أحكامه ما لا يعرفه غيرهن[3].

الأئمة الأربعة:

الشبهة الثالثة:

يرى زيهر أن هناك أحاديث موضوعة عليها طابع القدم، وهي إما من قول النبي ﷺ أو من رجال الإسلام القدامى، وأن أصحاب المذاهب الفقهية، وضعوا جملة من الأحاديث ظاهرها السلامة، ونسبوها إلى النبي[4].

الجواب عن الشبهة:

لقد أثنى الله – تعالى- على التابعين بإحسان الذين سلكوا مسلك الصحابة، وساروا على نهجهم، وبيذلوا نفوسهم في الدفاع عن الدين، قال- تعالى-: (**لاَ يَرْقُبُونَ**

(١) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية، ونحو ذلك: ٣٦/٥ برقم (٤١٠٢)

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع: ص١٩٣.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم: ٤٢٢/٥.

(٤) انظر: العقيدة والشريعة: ص٤٩- ٥٠.

فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)[١]. وقال- سبحانه-: **(وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)**[٢]. وأثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله: **(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم)** [٣].

والتابعون – خاصة الكبار منهم – من أبعد الناس عن الوضع إذ عهدهم قريب من عهد النبي ﷺ وقلوبهم عامرة بالتقوى والخشية.

قال السخاوي: إن احتمال الضعف في الواسطة حيث كان تابعيًا – لاسيما الكذب- بعيد جدًا فإنه - صلى الله عليه وسلم- أثنى على عصر التابعين وشهد له بعد الصحابة بالخيرية[٤].

وأما أصحاب المذاهب، في مقدمتهم الأئمة الأربعة- رحمهم الله- فقد كانوا أعلامًا للأمة؛ شرفهم الله بحمل العلم، والقيام بواجبه، فتمسكوا بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وكانوا على قدر كبير، من تعظيم السنة، والعناية بها.

وهذه جملة من أقوالهم في التمسك بالسنة:

يقول أبو حنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

وقال: "إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه، ارتكبوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان

(١) التوبة: ١٠٠.
(٢) الحشر: ١٠.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) انظر: فتح المغيث: ١٤١/١.

خبر الرسول ﷺ يخالفه؟ قال: ارتكوا قولي لخبر الرسول ﷺ"[1].

وقال مالك: "إنما أنا بشر أخطئ، وأصيب، فأنظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة، فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب، والسنة فاتركوه"[2].

وقال الشافعي: "كل ما قلته فكان من رسول الله ﷺ خلاف قولي مما صح فهو أولى، ولا تقلدوني"[3].

وقال أحمد: "ليس أحد إلا يؤخذ من رأيه ويترك، ما خلا النبي ﷺ[4].

ثم إن تعميم زيهر: لم يُبْنَ على دراسة موسوعية للمذاهب الفقهية، والعقائدية، بل اكتفي بما وجده عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة، أو بما رآه في كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التي دس فيها بعض الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب؛ لدعم رأيه في وضع أكثر الأحاديث، كما قال عجاج الخطيب[5] [6].

الإمام الزهري:

الشبهة الرابعة:

يقول زيهر: إن الأمويين استغلوا دهاء الزهري في وضع الحديث وإن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير وبني قبة الصخرة في المسجد الأقصى؛

(١) انظر: إيقاظ همم أولى الأبصار: ٧٣.
(٢) انظر: إيقاظ همم أولى الأبصار: ٧١.
(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله: ص١٢٥.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣/١٠.
(٥) انظر: مسائل الإمام أحمد لأبي داود: ٢٧٦.
(٦) انظر: السنة قبل التدوين: ص٢٥٣.

ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة واستعان بالزهري بحكم ذيوع صيته وثقة الناس به ليع لهم حديث: (**لا نشد الرحال**)[١] وقد كان الزهري صديقًا لعبد الملك[٢].

الجواب عن الشبهة:

الإمام الزهري من أئمة المحدثين، وكبار الحفاظ متفق علي إمامته، وجلالته، وإتقانه بين علماء المسلمين، وأهل النقد منهم خاصة، ورميه بالوضع أمر عظيم لم يسبق أحد من المستشرقين زيهر إليها، والزهري بالمنزلة العظيمة من الوزع والدين والنزاهة والقوة في الحق يستحيل أن يستغله أحد في الوضع سواء رجل سياسة، أو غيره[٣].

وأما بنو أمية الذين أولع المستشرقون بالطعن فيهم والافتراء عليهم فليسوا بذلك السوء الذي يصوره هؤلاء المستشرقين فمن خلفائهم معاوية الصحابي وعمر بن عبد العزيز الذي أمر بتدوين السنة وعبد الملك بن مروان الذي كان عابًا مهتمًا بالعُلم.

وأكثر من طعن فيهم أعداؤهم العباسيون وغلاة الشيعة والروافض[٤].

وأما القصة التي ذكرها في قبة الصخرة، فهي من صنع اليعقوبي[٥]، وكان من أعيان

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٢/١٢٠-١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: ١/٣٩٨ برقم (١١٣٢)، وبرقم (١١٣٩)، وبرقم (١٧٦٥)، وبرقم (١٨٩٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: ٤/١٢٦ برقم (٣٤٥٠).

(٣) انظر: تقريب التهذيب: ٢/٢٠٧، والسنة ومكانتها في التشريع: ص٢٠١.

(٤) انظر: السنة ومكانتها في التشريع: ص٢٤٩.

(٥) هو أحمد بن أبي يعقوب موسى بن جعفر بن وهب، ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، كان جده من موالي المنصور العباسي رحل إلى المغرب، وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهندوزار الأقطار العربية، له تاريخ اليعقوبي، وكتاب البلدان، مات بعد سنة ٢٩٢ه.
انظر: هدية العارفين: ١/٢٥، والأعلام: ١/٩٥.

الشيعة، والعداء بين الشيعة والأمويين معلوم.

وأما القصة التي ذكرها في قبة الصخرة فهي من صنع اليعقوبي[1]، وكان من أعيان الشيعة، والعداء بين الشيعة، والأمويين معلوم[2].

وأيضًا فبناء القبة مختلف فيه بين المؤرخين، فمنهم من يقول: بناها الوليد بن عبدالملك، ومنهم من يقول: عبد الملك[3].

وأما زعمه بأن عبد الملك أمر الناس بالحج إليها، فهذا لا يمكن أن يكون؛ لأنه كفر، كيف وهو الذي أعاد بناء الكعبة على ما كانت عليه أيام النبي ﷺ بعد مقتل ابن الزبير، كما أن العلماء لا يمكن أن يسكنوا على هذا الأمر العظيم، أضف إلى ذلك أن أعداء الأمويين، لم يذكروا ذلك، مع أنهم حريصون على تصيد أخطاء الأمويين.

ثم إن الزهري لم يلتق بعبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير سنة ٨٢هـ، وابن الزبير قتل سنة ٧٢هـ، وبعد مقتله استوثقت الممالك لعبد الملك، فليس بحاجة إلى من يضع له أحاديث لصرف الناس عن الحج، والزهري لم يكن عند مقتل ابن الزبير ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية، بحيث تقبل منه حديثًا موضوعًا يلغي فريضة الحج وصداقته لعبد الملك، وتردده عليه، لا يقدح في أمانته، ودينه، وليس ذلك الأمر يدعوه لوضع الحديث محاباة له، ثم إن الإمام الزهري ليس ممن يتزلف للحكام طلبًا لمال، أو جاه، وأما حديث شد الرحال، فهو صحيح أخرجه البخاري، ومسلم[4].

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦١.
(٢) انظر البداية والنهاية: ٩/١٧٣- ١٨٧، السنة ومكانتها في التشريع: ص٢١٧.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع: ٢١٨، والسنة: حجيتها ومكانتها: ٢٤٩- ٢٥٠.
(٤) تقدم تخريجه: ص٤٣.

والزهري لم ينفرد برواية هذا الحديث حتى يتهم بوضعه، ثم إن الحديث ليس فيه فضل القبَّة، ولا فيه الدعوة إلى الحج إليها، والطواف حولها، بدلاً من الكعبة، كما يزعم زيهر، وغاية ما فيه فضل الصلاة في بيت المقدس، وزيارته[١].

علماء الحديث والفقه:

الشبهة الخامسة:

يقول زيهر: إن علماء الحديث، والفقه، وضعوا أحاديث للترغيب لا تنافي روح الإسلام، بزعم أنهم يحاربون الإلحاد، والبعد عن دين الله[٢].

الجواب عن الشبهة:

إذا كان بعض أهل الأهواء، البدع، والمصالح الدنيوية، والمغالون في العصيان والجهال، من المتصوفة، أجازوا الكذب على رسول الله ﷺ، فإن علماء الأمة من أهل الحديث الفقه أرفع درجة، وأسمى منزلة من أن يكذبوا في حديث النبي ﷺ.

وهم أتقى لله، وأخشى من أن يزيدوا في دين الله ما ليس منه، فهم حماة الدين اللذين يذبون عنه الدخيل، والباطل، الباذلون نفوسهم، وأموالهم في سبيل إعزازه ورفعته.

قال الطحاوي: "وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه، والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[٣].

(١) انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠٩/١، وسير أعلام النبلاء: ٣٢٨/٥، ٣٣٤.
(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع: ص١٩١.
(٣) انظر: العقيدة الطحاوية: ص٥٨.

وأما زعم زيهر بأن بعض الوضاعين يرون أنهم يفعلون ذلك لمحاربة الإلحاد، والبعد عن الدين، فهذا أمر بينه علماء الإسلام، قديمًا، قبل أن يخلق زيهر، فإنهم نصوا على أن هناك جماعة أجازت وضع الحديث؛ رغبة في الخير، والصلاح، ولم يسكت علماء الحديث عنهم، بل كفوا أمرهم، وبينوا جهلهم، وحذروا مما وضعوه من أحاديث[1].

المبحث الرابع: شبهات المستشرقين حول التدوين.

أراد المستشرقون أن يشككوا المسلمين فيما وصلهم من الأحاديث الكثيرة حسدًا لهم على هذا الميراث.

الشبهة الأولى:

يرى جولد أن الصحابة انقسموا بعد وفاة النبي ﷺ إلى جزأين، أو فريقين متعارضين، فريق يؤيد كتابة الحديث، وفريق يعارض كتابة الحديث، واتخذ كل منهما من الأخبار سلاحًا يذود به عن رأيه، ويدفع به خصمه، وكان من نتاج ذلك أن أهل الرأي اعتمدوا عقولهم، وأهملوا الحديث؛ لكونه لم يكتب إلا بعد دهر طويل من وفاة النبي ﷺ فغابت معالمه، وأيدوا أقوالهم بأحاديث اختلقوها ووضعوها على النبي ﷺ تنهي عن كتابة الحديث، وكذا صنع خصومهم (أهل الحديث) فاختلقوا الأخبار الكاذبة في إباحة الكتابة، ونسبوها إلى النبي ﷺ[2].

الجواب عن الشبهة:

أن هذا الموضوع مبني على وجود بعض الأحاديث الصادرة عنه ﷺ التي تأمر بكتابة العلم، وتقييده كحديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: (يا

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ٢/١٤٣- ١٤٧.
(٢) المستشرقون والحديث النبوي: ص٧١.

رسول الله أكتب ما اسمعه منك في الغضب والرضا، قال: **نعم، فإني لا أقول إلا حقًا**)[١]، وهناك أحاديث أخرى تنهي عن كتابة الحديث كحديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: (**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**)[٢] وقد وفق العلماء بين تلك الأحاديث بأجوبة متعددة:

ولعل أقربها للصواب أن النبي ﷺ نهي في بداية الأمر عن كتابة الحديث نهيًا عامًا مع الإذن لأفراد بأعيانهم كمن لا يحفظ كأذنه لأبي شاة[٣] ثم أذن إذنًا عامًا قبيل وفاته بالكتابة.

وأما موقف الصحابة الذين نهوا عن الكتابة ك علي بن أبي طالب ﷺ قال: (أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم)[٤]، أو امتنعوا منها كعمر ﷺ حيث قال: (إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدًا)[٥]، فإنما فعلوا ذلك لأسباب

(١) أخرجه أبو دواود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم: ٤٠٨/٢، برقم (٣٦٤٦)، قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم: ٢٩١/١٤ برقم (٥٣٢٦).

(٣) أبو شاه اليماني، بقال: إنه كلبي، ويقال: إنه فارسي من الأبناء الذين قدموا اليمن في نصرة سيف بن ذي يزن، وقيل: إن هاءه أصلية، وهو بالفارسي، معناه الملك، الإصابة: ٢٠٢/٧ برقم (١٠٠٩٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٥٢/٩ رقم (٢٦٩٦٩)، وإسناده ضعيف، فيه جابر الجعفي ضعيف، أنظر: تقريب التهذيب: ١/ ١٣٧ برقم (٨٧٦٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في منصفه، باب كتاب العلم: ٢٥٧/١١ برقم (٢٠٤٨٤)، وإسناده صحيح.

متُى وجدت وجد امتناعهم، ومتى زالت زال نهيهم، ولـيس ذلـك لأن الصـحابة يعتقدون تحريم الكتابة.

وأما زعمه بأن أهل الحديث يرون جواز الكتابة، وأهل الرأي لا يجيزون الكتابـة فليس بصحيح؛ لأن من أهل الرأي من أجاز الكتابة: كحماد بن زيد، والليـث بـن سعد، ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليه، وهشيم بن بشير.

بهذه البراهين القوية نقد العش[1] رأي جولد[2].

الشبهة الثانية:

يرى المستشرقون أمثال سوفاجيه أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية، قد أعطى فرصة الوضاعين أن يزيدوا وينقصوا في الحديث[3].

الجواب عن الشبهة:

أراد المستشرقون بمزاعمهم حول التدوين التشكيك في صحة الحـديث ويؤيـدوا قولهم بوضعه، أو وضع معظمه، والذي يتتبع ما وجد في دواوين السنة يجزم بأنه لم يخل عصر من عصور المسلمين عن كتابة الحديث، وتقييده بدءًا بعصر النبي ﷺ فما بعـده، فقد أذن لبعض أصحابه بالكتابة، وأمر بعضهم بها، والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة متوافرة.

ومن ذلك حديث أبي هيريرة ﷺ يوم فتح مكة، وفيه (... فجاء رجل مـن أهـل

(١) قلت: هو يوسف العش مؤلف معاصر حقق كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي.
(٢) انظر: المستشرقون والحديث النبوي: ص٧١.
(٣) انظر: المستشرقون والحديث النبوي: ص٦٥.

أليمن فقال اكتب لي يا رسول الله فقال: (**اكتبوا لأبي فلان**)[١].

وحديث أبي هريرة ﷺ قال: (ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، ولا أكتب)[٢]، وغيرهما من الأحاديث التي تفيد الإذن بالكتابة.

وقد كان الصحابة يتمتعون بأذهان صافية، وحوافظ وقادة؛ لذلك كانوا يعتمدون على الذاكرة اعتمادًا تامًا، فحفظوا حديث النبي ﷺ، فكانت صدورهم مستودعًا للحديث استغنوا بها استيداعه القراطيس، ومع ذلك فقد وجد كما ذكرنا من يكتب فسار الحفظ والكتابة جنبًا إلى جنب.

فالسنة محفوظة جليلها ودقيقها منذ عهد النبي ﷺ وكتب بعضها في الصحف، كصحيفة عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-، ثم دون تدوينًا رسميًا بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم شاع التأليف بعد ذلك، وانتشرت المؤلفات، وتعددت أنواعها، فظهرت المصنفات على الأبواب، والمسانيد، والجوامع، ثم أفردت الأحاديث الصحيحة في مؤلفات خاصة، واعتني المسلمون بالسنة عناية منقطعة النظير[٣].

وأما ما انتشر عند كثير من غير ذوي التتبع أن الحديث كان ينقل شفاها إلى نهاية القرن الأول، وأن أول من قيد العلم ابن شهاب الزهري أمرًا له عمر، فهذا مقصود به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العم، باب كتابة العلم: ٥٣/١ برقم (١١٢)، وبرقم (٢٣٠٢)، وبرقم (٢٨٩٥)، وبرقم (٥٤٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة رصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام: ١١٠/٤ برقم (٣٣٧١)، وبرقم (٣٣٧٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم: ٥٤/١ برقم (١١٣).
(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١٠٩/٢- ١١٦

التدوين الرسمي، ولا يعني أن الحديث لم يدون منه شيء إلى ذلك الوقت، بل كان يكتب لكن بصفة خاصة غير رسمية، فقد وجدت الكتابة في حياة النبي ﷺ واستمرت في العهود التي تلت عهد، كما سلف بيانه[1]، وإطلاق كلمة التدوين من غير قيد موهمة[2].

المبحث الخامس: شبهات المستشرقين حول منهجية النقد عند المحدثين

لم يترك المستشرقون جانب من الإسلام إلا وطعنوا فيه، حتى وصل بهم الحمال إلى الطعن في منهجية نقد المحدثين.

الشبهة الأولى:

درس شاخت الأحاديث الفقهية، وتطورها –بزعمه– فرأى أن السند جزء اعتباطي في الأحاديث، وأن الأسانيد نمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة التي أرادت أن تنسب نظرياتها إلى أشخاص موثوقين من القدماء، فتختار تلك الشخصيات، وتضعها في الإسناد[3].

الجواب عن الشبهة:

قد وقع شاخت في خطأ منهجي كبير عندما درس قضية الإسناد من كتب الفقه التي لا تصلح لمثل هذه الدراسة حيث أن اختيار مادة علمية كالإسناد من كتب الفقه من شأنها عدم الحصول على الحقيقة، والخروج بأفكار مشوشة لا تبعث على الاطمئنان العلمي، وسلامة النتائج إذ الاعتناء بالأسانيد، والمتون ليس من وظيفة

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ص٤٠.
(٢) انظر: الإمام الزهري وأثره في السنة: ٢٩٥، والمستشرقون والحديث النبوي: ٦٧– ٦٨.
(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: ٨٣/١، ١٠٤.

الفقهاء، بل من وظيفة المحدثين؛ لأن الفقهاء همهم استنباط المسائل الفقهية من الأحاديث بعد ثقتهم بمدى حجيتها، أما كتاب الموطأ للإمام مالك، وموطأ الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وكتاب الأم للشافعي التي اعتمدها شاخت في دراسة الأسانيد فإنها على الرغم من عنايتها بوصل أسانيد أغلب مادتها، فإنها أقرب ما تكون إلى الفقه منها إلى الحديث، وبالتالي فهي غير كافية لمثل هذه الدراسة ونتيجتها لا تصدق على كافة الكتب الحديثة.

وأما ما ذكره شاخت من تغير الجزء العلوي من الإسناد، وأنه ألصق فيه أسماء أشخاص موثوقين، فهذا إدعاء بلا دليل، بل لم يوافقه عليه أبناء جلدته من المستشرقين فيرى (Fuck)[(١)]، وأن قلة ما ينسب لكبار الصحابة من الأحاديث مقارنة بصغارهم يعطي الثقة بصحة ما نقله المحدثون إذ لو كان ذكر الأسانيد اختلاقًا، لكان كبار الصحابة فيه أولى من صغارهم لعظيم مكانتهم في نفوس الأمة[(٢)].

ويمكن تلخيص الرد على هذه الشبهة بالنقاط التالية:

١) لقد بدأ استعمال السند في عهد رسول الله ﷺ، وكان قد استعمله بعض الصحابة بنقل الأحاديث النبوية في ذلك الوقت، وفي العهد الراشدي كان إلزام الرواة به، وفي عهد التابعين، ومن بعدهم كان الالتزام التام به.

٢) هر الوضع في الحديث على الأغلب الأعم في العقد الرابع من القرن الأول الهجري في مجال السياسة بالذات فقد أوجدت هذه الفرق السياسية جبهات متعادية

(١) لم أقف على ترجمته.
(٢) المستشرقون والحديث النبوي: ص١٠١ ١٠٥.

فاستغل تلك الأجواء من ضعاف الدين والورع فوضعوا الأحاديث لتأييد مذاهبهم السياسية، وأصبح استعمال السند في تلك الفترة أكثر أهمية من أي وقت مضي.

٣) كان الإخفاق من نصيب المستشرقين في دراساتهم عن ظاهرة السند لعدم اتخاذهم المجال الحقل المناسب لها حيث انتخبوا مصادر غير صالحة لها مثل: كتب السيرة والفقه والتاريخ، وكان بإمكانهم النجاح والتوصل إلى نتائج علمية، وواقعية لو اتخذوا من كتب الحديث ميدانًا لدراستهم، لكنهم لم يفعلوا فجاءت النتائج بعيدة عن الواقع[١].

الشبهة الثانية:

أن نقد المحدثين للحديث كان منصبًا على السند دون المتن.

يقول غاستون ويت[٢]: لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ، ودنوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن؛ لذلك لسنا متأكدين أن الحديث وصلنا كما هو عن رسول الله، من غير أن يضاف إليه الرواة شيئًا بحسن نية أثناء روايتهم للحديث[٣].

وممن زعم كزعمه من المستشرقين كايتاني[٤] ومن تابعهم كأحمد أمين[٥]،

(١) السابق: ص١٧٧- ١٤٠.
(٢) لم أقف على ترجمته.
(٣) السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام: ص٢٤٠.
(٤) لم أقف على ترجمته.
(٥) هو أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب، اشتهر باسمه (أحمد أمين)، ولد سنة ١٢٩٥هـ، تولي القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ثم عميدًا لها، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد من مؤلفاته: (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام)، مات سنة (١٣٧٣هـ).
الإعلام: ١/١٠١.

وأبو رية[١] فقالوا: إن جل اهتمام المحدثين في نقد الحديث منصب على الأسانيد وحدها دون المتون التي لم تحظ بأي اهتمام في النقد.

ويقول أحمد أمين من أتباعهم: إن المحدثين لم يتعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أم لا؟ مثل حديث "الكمأة[٢] من المن[٣] وماؤها شفاء

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) الكمأة: هي معروفة، نبت كالفطر لا ورق له.

غريب الحديث للحربي: ٤٨٥/٢.

وقال ابن حجر: الكمأة بفتح الكاف وسكون الميم بعدها همزة مفتوحة-. قال الخطابي: وفي العامة من لا يهمزه، واحدة الكمء- بفتح ثم سكون ثم همزة- مثل تمرة، وتمر، وعكس ابن العربي، فقال: الكمأة الجمع، والكمء الواحد على غير قياس، وهي نبات لا ورق لها ولا سابق توجد في الأرض من غير أن تزرع، قبل: سميت بذلك؛ لاستتارها يقال: كمأ الشهادة إذا كتمها.

فتح الباري: ١٦٣/١٠.

(٣) وهو العسل الحلو الذي ينزل من السماء.

النهاية ٨٠٢/٤، مادة (منن).

وهو مصدر بمعنى المفعول أي: ممنون به، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان منأ محضًا، وإن كانت جميع نعم الله تعالى على عبيده منا منه عليهم، لكن خص هذا باسم المن؛ لكونه لا صنع فيه لأحد فجعل سبحانه وتعالى قوتهم في التيه.

فتح الباري: ١٦٤/١٠.

قيل في المراد بالمن ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن المراد أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل، وهو الظل الذي يسقط على الشجر، فيجمع، ويؤكل حلوا ومنه الترنجبين، فكأنه شبه به الكمأة؛ بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج.

والاني: أن المعني أنها من المن الذي أمتن الله به على عباده عفوًا بغير علاج قاله أبو عبيد، وجماعة، وقال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن الذي أنزل على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر، وإنما المعني أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر، ولا سقي، فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فيقع على الشجر، فيتناولونه، ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا منها ما يسقط على الشجر، ومنها ما يخرج من الأرض، فتكون الكمأة منه، وهذا هو القول الثالث. =

للعين..[1] فهل جرب المحدثون امتحان الكمأة، وهل فيها مادة تشفي العين؟ فكان هذا طريق لمعرفة الحديث أو وضعه[2].

الجواب عن هذه الشبهة:

إن اتهام المستشرقين، ومن تابعهم لعلماء الحديث بالاهتمام بنقد السند، دون نقد المتن كلام لا وجه له من الصحة، إذ من المعلوم أن الحديث يتكون من سند، ومتن فأي نقد يتناول شطرًا دون آخر يكون نقدًا ناقصًا، وعلماء الحديث في تعريفهم لهذا العلم "علم الحديث" يقسمونه إلى قسمين: علم الحديث رواية وعلم الحديث رواية، فأما موضوع علم الحديث دراية فيتناول الراوي، والمروي من حيث القبول والرد، إذن فهذا العلم يهتم بالسند، والمتن على حد سواء.

وكذلك كان علم الحديث رواية ميدانًا لنقد المتن إذ البحث فيما أضيف للنبي ﷺ يتناول جوانب فقهية، واعتقادية، وكان النقد، والتحليل جاريًا على تلك الجوانب من

=قوله: وماؤها شفاء للعين، أي: شفاء من داء العين.

قال ابن الجوزي: في ا لمراد بكونها شفاء للعين، قولان: أحدهما أنه ماؤها حقيقة إلا أن أصحاب هاذ القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفًا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع به؟ على رأيين أحدهما: أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها حكاه أبو عبيد، قال: ويصدق هذا الذي حكاه أبو عبيد أن بعض الأطباء قالوا أكل الكمأة يحلو البصر.

ثانيهما: أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها، ثم يؤخذ الميل، فيجعل في ذلك الشق، وهو فاتر، فيكتحل بمائها؛ لأن النار تلطفه، تذهب فضلاته الرديئة، ويبقي النافع منه، ولا يجعل الميل في مائها. فتح الباري: ١٠/١٦٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن العظيم، ج:١٣/٣٩٦ برقم (٤٤١٨)، وبرقم (٤٢٧٣)، وبرقم (٥٢٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها: ١٠/٣٦٢ برقم (٣٨١٦)، وبرقم (٣٨١٧)، وبرقم (٣٨١٨)، وبرقم (٣٨١٩)، وبرقم (٣٨٢٠)، وبرقم (٣٨٢١).

(٢) المستشرقون والحديث النبوي: ص١٨-١٢٩.

قبل العلماء الذين اختصوا بالدراسات في تلك الميادين.

وأما توسع العلماء في نقد السند، والتشدد فيه، فذلك أمر طبيعي يتطلبه نقد الحديث، إذ الرواية من باب الشهادة، فكما يجب على الحاكم البحث عن الشاهد وأحواله، ومدى صلاحيته للشهادة قبل الإدلاء بشهادته، والنظر فيها يجب كذلك البحث عن الراوي وما يتصل به من صفات تؤهله للقبول قبل البحث، والنظر في مروية.

وعلى الرغام من أن قوة الحديث مستمدة من قوة السند وجوداً، وعدمًا إلا أن هناك قاعدة مشهورة عند علماء المصطلح، وهي أنه قد يصح السند، أو يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال، والعدالة، والضبط، وقد يصبح المتن من طريق آخر.

ومن صور اهتمام العلماء بالمتن، وضعهم القواعد، والضوابط لمعرفة الوضع في المتن ومن تلك الضوابط:

١- كون الحديث مخالفًا لصريح القرآن.

٢- كون الحديث مخالفًا لصريح الحديث المتواتر.

٣- كون ألفاظ الحديث أو معانيه ركيكة.

وأما ما ذكره أحمد أمين من حديث "الكمأة" مثالاً على عدم توجه نقد المحدثين إلى المتن بإجراء اختبار على "الكمأة" فغير صالح للاستدلال؛ لأنه ليس كل الأحاديث تتناول الماديات حتى يمكن إجراء التجارب عليها؛ لأنها في الغالب غير مادية بل غيبية روحية، ومع ذلك مانع من أن يجري المعترض التحليل الذي يراه ضروريًا لمعرفة صحة الحديث، ويصدر حكمه على المحدثين بعد ظهور نتائج تحليله حتى يكون حكمه عليهم

مقبولاً، أما أن يطالب المحدثين بما لم يفعله هو، وبما هو خارج طبيعة بحثهم، وحدود إمكاناتهم في ذلك الوقت فأمر غير مقبول[1].

الشبهة الثالثة:

قال جوينبل: والحكم على قيمة المحدث، قد يختلف اختلافًا بينًا، فربما كان الراوي ثقة عند قوم، في منتهي الضعف عند آخرين، وربما اعتبروه كذابًا[2].

الجواب عنها:

لقد اعتبر جوينبل أن اختلاف علماء الحديث في توثيق الراوي، وتضعيفه مطعن في منهجهم، ويلزم من ذلك أن يوثقوا من لا يستحق التوثيق، ويضعفوا من لا يستحق التضعيف، وينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة، ولذا حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة، وهي ليست كذلك.

هذه لوازم تؤخذ من عباراته ومن مفهوم كلامه إذ القصد التشكيك في السنة، وما وضعه علماء الحديث من قواعد وأصول ثابتة لتوثيق الرواة، وتضعيفهم ينفي ما قال، فهم لم ينطلقوا – رحمهم الله- في تعديل الرواة، وتجريحهم من هوى، أو بحسب المزاج، وإنما كانوا يفعلون ذلك حسبة لله، وتدينا له، ولذلك كثر قولهم: (إن هذا العلم ين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [3].

ولقد قام علم عظيم وضعت له القواعد، وأسست له الأسس، وجعل مقياسًا دقيقًا ضبطت به أحوال الرواة من حيث التوثيق، والتضعيف، وهو علم الجرح، والتعديل

(١) المستشرقون والحديث النبوي: ص١٣٢- ١٤١.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٣٣٥/٧.
(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه: ١/ ٣٣، من قول محمد بن سيرين رحمة الله.

الذي لا نظير له عند أمة من الأمم.

فوضعوا شروطًا للراوي حتى تقبل روايته كما وضعوا شروطًا للناقد حتى يؤخذ نقده وكلامه في الرواة[١].

فقالوا: يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً، ضابطًا لما يرويه بأن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً سالمًا من أسباب الفسق، وخوارم المروءة، متيقظًا، غير مغفل حافظًا إن حدث من حفظه، ضابطًا لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعني اشترط فيه أن يكون عالمًا لما يحيل المعني[٢].

ويشترط في الناقد العلم، والتقوى، والورع، والصدق، والتجنب عن التعصب، ومعرفة أسباب الجرح، والتزكية ومن ليس كذلك لا يقبل منه الجرح ولا التزكية[٣].

كما أنه يجب أن يراعي عند الاختلاف في الجرح، والتعديل أن يراعي حال المعدل، والمجرح؛ لأن ذلك من القرائن التي يرجح بها عند الاختلاف في التوثيق التضعيف، فالنقاد على ثلاثة أقسام من حيث التعنت، والتوسط، والاعتدال.

فقسم متعنت في الجرح، متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين، والثلاث، ويلين بذلك حديثه، وهذا إذا وثق شخصًا فعض على قوله بناجذيك، وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعف رجلاً فأنظر هل وافقه غير على تضعيفه، فإن وافقه أحد، و لم يوثق ذلك الراوي أحد من الحذاق، فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا الذي قالوا فيه: لا يقبل تجريحه إلا مفسرًا بذكر سبب ضعفه مثل ابن معين وأبو حاتم والجوزجان.

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١٥٨/٢.
(٢) مقدمة ابن الصلاح: ص٦١.
(٣) الرفع والتكميل: ص٦٧.

وقسم في مقابلة هؤلاء كأبي عيسي الترمذي وأبي عبد الله الحاكم متساهلون.

وقسم كالبخاري وأحمد معتدلون منصفون.

وأما اختلافهم في صحة حديث، أو تضعيفه فيرجع ذلك إلى أمرين:

- اختلافهم في استيفاء الحديث لشروط الصحة، فحكم كل ما أداه إليه اجتهاده.

- اختلافهم في لزوم بعض تلك الشروط للصحة كالحديث المرسل، فالبعض يصححه إذا استوفى بقية الشروط، وبعضهم بضعفه؛ لعدم الاتصال[1].

* * *

(١) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل: ص١٥٨- ١٥٩.

الخاتمة

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فبعد النظر في شبهات المستشرقين، وما أثاروه حول السنة النبوية من ضلالات يقصدون بها هدم هذا الدين، وتقويض أركانه في نفوس أبنائه بالطعن في رسوله ﷺ أو صحابته حملة الوحي، نخرج بالنتائج التالية:

١) أن لا يمكن القضاء على الإسلام، وأن هؤلاء المستشرقين ألأمام الإسلام ومحاولتهم النيل منه ينطبق عليهم قول الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

٢) أن شبه هؤلاء المستشرقين ساقطة متهافة لا تستحق أن يؤيه بها، ولولا اغترار الرعاع من الناس بها لما كانت أهلاً للرد عليها.

٣) حفظ الله لدينه، وتهيئته في كل زمان من يذود عنه.

٤) أن كتابات هؤلاء المستشرقين تخلو من مراعاة المنهج العلمي كبتر النصوص وغيرها.

* * *

فهرس المصادر

١. **الاستشراق** لـــ د. مازن صلاح مطبقاني (شاملة).

٢. **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، لـــ د. مصطفي السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي.

٣. **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن على حجر العسقلاني، مؤسسة الحلـــبي وشركاه، القاهرة.

٤. **أصول الحديث عولمة ومصطلحه** تأليف: د. محمد عجاج الخطيب، مكتبـــة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـــ- ١٩٨١م.

٥. **الأعلام** لخير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الزركزلي الدمشقي ٢٠٠٢م.

٦. **الإمام الزهري وأثره في السنة** للدكتور: حارث سليمان الضاري، مطـــابع جامعة الموصل، ١٩٨٥م.

٧. **إيقاظ همم أولى الأبصار**، لصالح بن محمد بن نوح الفلاني، تحقيق: محمد منير الدمشقي إدارة الطباعة المنيرية، مصر ١٣٥٤هـــ.

٨. **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الـــدشمقي، (ت٧٧٤هـــــ)، حققه، ودقق أصوله، وعلق حواشية: على شيري، دار إحياء التراث العـــربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ، ١٩٨٨م.

٩. **تاريخ الشعوب الإسلامية** لكارل بروكلمان، دار العلم للملايين، بـــيروت- الطبعة السادسة.

١٠. **تاريخ اليعقوبي**، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

١١. **تذكرة الحفاظ** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة.

١٢. **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الإصدار الثاني، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣. **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة بيروت.

١٤. **التمييز**، تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، تحقيق: د. محمد مصطفي الأعظمي، مكتبة الكوثر – المربع- السعودية- ١٤١٠هـ، الطبعة: الثالثة.

١٥. **الجامع الصحيح المختصر**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفي ديب البغداد ابن كثير، اليمامة- بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٦. **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية المدينة المنورة، مطبعة العاصمة الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

١٧. **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت

٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر- دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٨. **الحديث والمحدثون**، لمحمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر.

١٩. **دارة المعارف الإسلامية**، أصدرها بالعربية أحمد الشتتاوي- إبراهيم زكي خورشيد – عبد الحميد يونس، مراجعة د. محمد مهدي علام، دار الفكر.

٢٠. **ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ضمن أربع رسائل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢١. **السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام**، لـ د. محمد لقمان السلفي دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٢. **السنة قبل التدوين**، للدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٣. **السنة ومكانتها في التشريع** للدكتور: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م بيروت.

٢٤. **سنن أبي داود** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥. **سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز "الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢.

٢٦. **شرح النووي على صحيح مسلم** للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي،

المطبعة المصرية.

٢٧. **صحيح الجامع الصغير**، لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٨. **صحيح سنن أبي داود**. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩. **صحيح سنن النسائي**، لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٠. **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (٢٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة بيروت، بدون تاريخ طبع.

٣١. **العقيدة الطحاوية**، تأليف: أبي جعفر الطحاوي، دار النشر: المكتب الإسلامي- بيروت- ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، الطبعة: الأولى تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٣٢. **العقيدة الطحاوية**، تأليف: أبي جعفر الطحاوي، دار النشر: المكتب الإسلامي- بيروت- ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣. **العقيدة والشريعة في الإسلام**، الإجناس جولدزيهر، دار الكتاب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى، الطبعة الأولى ب١٩٤٦م.

٣٤. **علوم الحديث**، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مكتبة

الفارابي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

٣٥. **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** الشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٦. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولي.

٣٧. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

٣٨. **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار المعرفة- بيروت.

٣٩. **مسائل الإمام أحمد** لأبي داود سليمان بن الأشعث، الطبعة الثانية، بيروت.

٤٠. **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة.

٤١. **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، مكتبة المطبوعات، حلب.

٤٢. **المستشرقون والحديث النبوي**، لـ د. محمد بهاء الدين، دار "النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولي ٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٣. **المصنف** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٤. **المفردات في غريب القرآن** لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤٥. **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية**، لمجموعة من العلماء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٤٦. **منهج النقد عند المحدثين**، لـ د. محمد مصطفي الأعظمي، مكتبة الكوثر، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٧. **موسوعة المستشرقين** لعبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣م.

٤٨. **موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية**، إعداد: الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولي ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤٩. **نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي**، تأليف: على حسن عبد القادر، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٥.

٥٠. **النهاية في غريب الحديث**، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ.

٥١. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي الوفاة: (ت ١٣٣٩هـ)، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

* * *